برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة(19)

ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم – الجزء(16)

الثلاثاء: 20 شهر رمضان 1439 - الموافق: 2018/6/5

✤ هذهِ هي الحلقةُ الـ(19) مِن برنامجنا [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] والحديثُ لازال مُستمرّاً تحت نفس العُنوان: حديثُ الولادة (ولادةُ القائم مِن آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين")

● وصل بنا الكلامُ إلى الصُورةِ السادسةِ مِن صُور الشاشةِ الثالثة وهي الصُورة الأخيرة مِن صُور هذه الشاشة التي أسميتُها (شاشة الأُسرة).

❖ **الصورة الثالثة: زيارةُ السيّدة نرجس** (وأعني بهذا العنوان: نصّ زيارتها المُتوفّرة في كُتب الأدعيةِ والمزارات).. وقد تقدّم جانبٌ مِن الحديث عنها في الحلقة الماضية. وكما بيّنت لكم في الحلقة السالفة - فإنّي لا أقصدُ شرح الزيارة بكلّ تفاصيلها، وإنّما سأقِفُ عند بعض المَفاصل المُهمّة في هذه الزيارة الشريفة كما أشرتُ إلى هذا الموضوع بالإجمال في الحلقة المُتقدّمة.

• **ومُرادي مِن المفاصِل:** أيّ المَفاتيح أو المِفكّات.. فهُناك في نُصوص الزيارات وفي نُصوص الأدعية بحسب الهندسة الخاصّة التي شُكّلتْ على أساسها منظومةُ الأدعية والزيارات والتي تقدّم الحديثُ عنها.. هناك في كُلّ نصٍّ مِن هذه النُصوص هُناك مَفاتيح، مِفكّات، مَغالق.. عبّرتُ عن ذلك بالمِفاصل.

✤ مِن هذهِ المَفاصل الواضحة في هذا النصّ هذا المِفصل: (**والمُودَعةِ أسرارَ المَلِك العلّام**) وهذهِ العبارة جاءتْ في سياق: (**السلامُ على والدةِ الإمام والمُودَعةِ أسرارَ المَلِك العلّام، والحاملةِ لأشرفِ الأنام**) والمِفصلُ الذي أتحدّثُ عنهُ هو في هذه العبارة: (**والمُودَعةِ أسرارَ المَلِك العلّام**) وهذا المِفصل يتكرّرُ مرّةً أخرى في نفس هذه الزيارة حين تقول: (**والمُستودَعةُ أسرارَ ربّ العالمين**)

قطعاً هُناك فارقٌ دقيق بين هذين الوصفين مِن جهة البناء اللّفظي والتعبير البلاغي ومِن جهة السياق الذي ورد كُلّ تعبيرٍ فيه.. ولكنّني لن أقِفَ عند هذه الجهات، فإنّ ذلك يقتضي أنَّ الحلقة ستنتهي والكلام لا ينتهي..

لِذا سأسلّطُ الضوءَ على المعنى الجامع بين الوصفين وهُو أنّ السيّدة نرجس في وُجودها وكيانها وشخصيّتها تكويناً وتشريعاً خُزانةٌ للأسرار الإلهيّة.. قَطْعاً بحسب مَنزلتها.. وأسرارُ ربّ العالمين تارةً تتجلّى بالإجمال وأخرى تتجلّى بالتفصيل.

إنّها خُزانةٌ.. إنّها مَوضعُ أمانةٍ إلهيّة.. إنّها مَحلٌّ للوديعةِ الربّانيّة.. هي مَوضعٌ للوديعةِ الإلهيّة.

وهذه الوديعةُ الإلهيّة تتجلّى في عِبارةٍ واضحةٍ جدّاً نقرؤُها في دُعاء النُدبة الشريف ونحن نُخاطب إمام زماننا (**أين وجهُ اللهِ الذي إليه يتوجّه الأولياء**) هذهِ هي الوديعةُ الإلهيّةُ التي أُودعتْ بالإجمال.

إذ لا يُمكن أن تُودَع بالتفصيل.. إيداعها بالتفصيل فقط عندهُ سُبحانه وتعالى، وإنّما أُودعتْ هذه الأسرار عند السيّدة نَرجس إيداعاً مُؤقّتاً عَابراً بالإجمال.

أمّا الإيداع بالتفصيل فهو الذي أشارتْ إليه الأدعيةُ الشريفة، كما نقرأ في دُعاء ليلة المبعث وفي دُعاء يوم المبعث (**وبإسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم الذي خَلَقتَهُ فاستقرَّ في ظِلّكَ فلا يخرجُ منكَ إلى غيرك**) هذا هو السِرّ بالتفصيل.

لأنّه لا يُمكن أن يكون في مَوطنٍ آخر.. إذ لا يُوجد مَوطنٌ يُمكن أن يَسَع ذلك التفصيل.. فكُلّ المواطن مهما بلغتْ في كمالها وجلالها وعَظَمتِها، كُلّ المواطن مِن العرش إلى النقش وما وراء العَرش وما وراء النقش.. كُلّ المواطن هي ضيّقةٌ بالنسبة لِذلك التفصيل، وإنّما يتجلّى ذلكَ التفصيل مُجمَلاً في كُلّ منزلةٍ مِن هذه المنازل. ومِن جُملة التجلّيات الإجماليّة هي هذه التي تتحدّث عنها الزيارة الشريفة.

السيّدةُ نرجس بوّابةٌ أشرق الإجمال منها.. هذا الإجمال هو الذي نُخاطِبهُ في دعاء النُدبة الشريف (**أين وجهُ اللهِ الذي إليه يتوجّه الأولياء**)

● وقفة عند مقطع مِن دعاءٍ مِن الأدعية التي وردتْ عن نبيّنا الأعظم "صلّى اللهُ عليه وآله" في [بحار الأنوار: 93] والمعروف بـ(دُعاء الأسماء الحُسنى) وهُو مِن أدعية الأسرار.. ممّا جاء في هذا الدعاء:

(وأسألكَ باسمك الذي لا يُحيطُ به عِلْمُ العُلماء يا الله، وأسألكَ باسمكَ الذي لا يَحويهِ حُكم الحُكماء يا الله، وأسألكَ باسمكَ الذي لا يغلبهُ تدبير الفُقهاء يا الله، وأسألكَ باسمك الذي لا يَنالهُ تفكّر العُقلاء يا الله، وأسألكَ باسمك الذي لا يُبصرهُ بَصَرُ البُصراء يا الله، وأسألكَ باسمكَ الذي لا يَعلمهُ أحدٌ سواكَ يا الله وأسألُكَ باسمك يا لا إله إلّا أنتَ المَخزون المَكنون الذي لا يعرفهُ أحدٌ إلّا بالآياتِ الواضحات والدلالات البيّنات والعلامات الظاهرات مِن عجائب الخَلْق مِن النار والنور والظُلمات، والسحاب المُتطابقات، والرياح الذاريات، والأعين الجاريات، والنُجوم المُسخرّات، وجلاميد الأهوية المُتراكمات بين الأرضين والسموات، والعُيون المُنفجرات، والأنهار الجاريات، والبحار وما فيهنَّ مِن الأُمم المُختلفات، كُلٌّ يسبّح لكَ بذلك الإسم العَظيم الذي لا تفنى عَجائبهُ لِما عظَّمتَهُ وشرَّفتهُ وكرَّمتهُ وكبَّرته.)

● قول الدعاء: (**وأسألك باسمكَ الذي لا يغلبهُ تدبير الفُقهاء**) المُراد: تدبيرهم العلمي.. كما يُقال مِن أنّه (**ما ضاع على فقهٍ مَسلك**) وليس المُراد القضايا الفتوائيّة.. لأنّ أهل الفِقه هُم الذين يمتازون بالعُمق والدّقة بحسب منطق أهل البيت، لا بِحسب منطق حوزتنا العلميّة الدينيّة الشيعيّة.

فهذهِ الإستعمالاتُ هي بِحسب ما يُريدهُ مُحمّدٌ وآل مُحمّد، لا بِحَسب ما يُريدُ المُخالفون لأهل البيت والذين يُتابعُهم عُلماؤنا ومَراجعنا.

المُصطلحاتُ الشائعة في المُؤسّسة الدينيّة الشيعيّة الرسميّة هذهِ المُصطلحات مَضامينها أُخذتْ مِن مُخالفي أهل البيت.. أمّا ما هو موجودٌ في كلمات أهل البيت فهذه المُصطلحات لها دلالاتٌ ومَضامين أُخرى.

● هذهِ العَبائر الواردةُ في دُعاء الأسماء الحُسنى لنبيّنا الأعظم ألا تقودنا إلى ما يقولهُ إمامنا الرضا "صلواتُ الله عليه" وهو يُحدّثنا عن وجه الله الذي إليه يتوجّه الأولياء.

● وقفة عند مقطع مِن حديث الإمام الرضا في [الكافي الشريف: ج1] الذي يتحدّث فيه عن جانبٍ مِن منزلة الإمام المعصوم.. يقول "عليه السلام":
(**فمَن ذَا الذي يبلغُ مَعرفة الإمام أو يُمكنُهُ اختياره؟! هيهاتَ هيهات، ضلَّتْ العُقول، وتاهتْ الحُلوم، وحارتْ الألباب، وخسِأتْ العُيون، وتصاغرتْ العُظماءُ، وتحيّرتْ الحُكماءُ، وتقاصرتْ الحُلماءُ، وحَصِرتْ الخُطباءُ، وجهِلتْ الألبّاءُ، وكلَّتْ الشعراء، وعجِزتْ الأُدباء، وعَييتْ البُلغاءُ عن وَصْفِ شَأنٍ مِن شأنه، أو فضيلةٍ مِن فضائلهِ وأقرّتْ بالعَجز والتقصير.**
وكيف يُوصَف بكُلّه، أو يُنعَتُ بكُنهه، أو يُفهَمُ شيءٌ مِن أمره، أو يُوجَدُ مَن يَقومُ مَقامهُ ويُغني غِناه؟ لا، كيف وأنّى؟ وهو بحيث النجم مِن يدِ المُتناولين، ووصف الواصفين، فأينَ الاختيار مِن هذا؟ وأين العُقول عن هذا؟ وأين يُوجد مِثْلُ هذا؟ أتظنونَ أن ذلك يوجد في غير آلِ الرسول مُحمّدٍ "صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم"؟..)
كُلّ هذه الإمكانات والقُدرات والمواهب كُلّها عجزتْ عن وصف شأنٍ مِن شؤون الإمام المعصوم..!
• قول الدعاء: (**وأسألكَ باسمكَ الذي لا يَعلمهُ أحدٌ سواكَ يا الله**) هو نفس المضمون الوارد في دعاء ليلة المبعث: (**الذي خَلَقتَهُ فاستقرَّ في ظِلّكَ فلا يخرجُ منكَ إلى غيرك**)
• قول الدعاء: (**وأسألُكَ باسمك يا لا إله إلّا أنتَ المَخزون المَكنون الذي لا يعرفهُ أحدٌ إلّا بالآياتِ الواضحات**) هذا هو الإجمال.. مع مُلاحظة أنّ إجمالهم "صلواتُ الله عليهم" تفصيلٌ وفوق التفصيل، ولكن الحديث لهُ مقامات.
وهذا التعبير الوارد في الدعاء (**الذي لا يعرفهُ أحدٌ إلّا بالآياتِ الواضحات والدلالات البيّنات**) هو نفس المضمون الذي نقرؤهُ في الزيارة السادسة لسيّد الأوصياء - بحسب تبويب مفاتيح الجنان - حين تقول الزيارة:
(**السلامُ على صاحبِ الدلالاتِ والآياتِ الباهرات والمُعجزاتِ القاهرات الزاهرات والمُنجي مِن الهلكات، الذي ذَكَرهُ اللهُ في مُحكم الآيات فقال تعالى: {وإنَّهُ في أُمّ الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم}، السلامُ على اسْم الله الرضي ووجههِ المُضي وجنبهِ العلي ورحمة الله وبركاته**).
وقَطعاً هذهِ الزيارات وهذهِ الأدعية بُيّنتْ بحَسب قانون المُداراة لمَراتب عقولنا. وهكذا نتحدّثُ مع إمام زماننا "صلواتُ الله وسلامهُ عليه" بنفس السِياق وبنفس النَغمة وبنفس المَعاني ونفس المُصطلحات نُخاطِبهُ في دُعاء النُدبة الشريف فنقول:
(**يابنُ المُعجزاتِ المَوجودة، يابنَ الدلائل المَشهورة، يابنَ الصِراطَ المُستقيم، يابنَ النبأ العَظيم، يابنَ مَن هُو في أُمّ الكتاب لدى الله عليٌّ حكيم، يابنَ الآيات البيّنات، يابنَ الدلائل الظاهرات، يابنَ البراهين الباهرات. يابن الحُجَج البالغات..**).
كما ترون.. المعاني يشدُّ بعضُها بعضاً.. هذا هو منهجُ لحن القول.. ولعنةٌ الله على علم الرجال الناصبي الذي يُضعّفُ كُلّ هذهِ الأحاديث.. حيثُ يُضعّف زيارات الأمير، ويُضعّف دعاء النُدبة، ويُضعّف دعاء الأسماء الحُسنى..!
• قول الدعاء: (**والعلاماتِ الظاهرات مِن عجائب الخَلْق**) هذه العلامات هي هي التي جاءتْ في الدعاء المَروي عن إمام زماننا والذي يُستحبّ قراءتهُ كُلّ يومٍ مِن أيّام شهر رجب.. حِين يقول الدعاء:
(**أسألُكَ بما نَطَقَ فيهم مِن مَشيّتكَ فجعلتَهُم معادنَ لكلماتكَ وأركاناً لتوحيدكَ وآياتك ومقاماتكَ التي لا تعطيل لها في كلّ مكان، يَعرفُكَ بها مَن عرفك، لا فرق بينكَ وبينها إلّا أنّهم عبادكَ وخَلقُك فتقُها ورتقُها بيدك، بدؤُها مِنكَ وعَودُها إليكَ، أعضادٌ وأشهاد، ومُناةٌ وأذواد، وحَفَظَةٌ ورُوّاد، فبهم مَلأتَ سمائكَ وأرضكَ حتّى ظَهَرَ أن لا إله إلّا أنت، فبذلكَ أسألكَ وبمَواقع العزّ مِن رحمتك وبمَقاماتك وعلاماتك..**) هذه هي العلامات التي يتحدّث عنها دعاء الأسماء الحُسنى.
● (**والمُودَعةِ أسرارَ المَلِك العلّام، والحاملةِ لأشرفِ الأنام**) إنّها الأميرة (مَليكا)، إنّها السيّدةُ نرجس، إنّها الشريفةُ صقيل، إنّها هي أُمّ القائم، إنّها هي السيّدةُ الطاهرةُ المُطهّرة.. إنها الموضع الذي جعلهُ اللهُ سُبحانه وتعالى خزانةً لأسرارهِ التي أشرقتْ مِن هذهِ البوابة الشريفة..
• قول الزيارة: (**والحاملةِ لأشرفِ الأنام**) هذا هو إمام زماننا الذي حدّثنا عنه إمامنا الرضا في [الكافي الشريف: ج1]
مَجمع أسرار الملك العلّام: إنّه وجهُ الله الذي إليه نتوجّه.. أشرق مِن هذهِ البوابّة.
هكذا هو نِظامُ عالم الدُنيا، وهكذا هو التجلّي البشري لِمحمّد وآل محمّد عِبْر هذهِ الوسائط مِن الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهّرة.
● مرّ الكلام مُجملاً ونحنُ نُخاطب السيّدة نرجس: (**السلامُ عليكِ أيّتُها الصدّيقة**) وحين أقول: "**الصدّيقة**" فهذا يعني طهارةَ عقلها وطهارةَ قلبها.. وهُما اللّذان يُعبّر عنهما بالرُوح.. فحِين نُسلّم على رُوحها إنّنا نُسلّم على عقلها وقلبها (**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**).
• الصدّيقةُ - مثلما مرّ علينا - لا يتولّى شُؤونها إلّا صدّيق.. الصدّيقة في درجةٍ مِن الطهارة بحيث لا يستطيعُ مَن لا يملكُ تلكَ الدرجة مِن الطهارة أن يكون مُلامساً لشؤونها.. والحالُ هو هو في الصدّيق إن كان رجلاً أو في الصدّيقة إنْ كانت امرأة.
فحين وُصفتْ السيّدة نرجس بهذا الوصف "صدّيقةٌ".. فهذا يعني أنّها طاهرةُ العقل وأنّها طاهرةُ القلب وأنّها طاهرةُ البدن.. والحديثُ عن طهارة البدن ليس الحديثُ عن الطهارة العارضة كطهارتنا البدنيّة نحن.. فنحنُ طهارتُنا البدنيّة طهارةٌ عارضة.
أمّا أولئك الذين هُم في مَرتبة الصدّيقيّة فطهارتهم ذاتيّة.. حتّى لو كانوا في سابق الأيّام لا يملكون هذه الطهارة وكانتْ طهارتُهم عارضة.. حينما يصلون إلى مَرتبة الصدّيقيّة فإنّ الطهارة العارضة تتلاشى وتَتحوّل الطهارةُ إلى طهارة ذاتيّة.. وقطعاً لن يصِلَ إلى هذهِ المَرتبة ما لم يكنْ مُستحقّاً لها.. وبالتالي فإنّ مُقدّمات الطهارة الذاتيّة كانت موجودة بجُذورها لديه في بداية التكوين والخِلْقة.
• ومثلما قلتُ في الحلقة الماضية: أنّ "الصدّيقيّة" في معناها الجوهري والحقيقي معناها يتجلّى في مُحمّدٍ وآل مُحمّد، ولكنّي أشرتُ إلى عليّ وفاطمة باعتبار أنّ هذا الوصف مَعروفٌ يتردّد على الألسنة عنهما "صلواتُ الله عليهما وآلهما".. فعليٌّ هو الصدّيقُ الأكبر، وفاطمة هي الصدّيقة الكُبرى.. وإلّا ما كان لأوّلهم فهو لآخرهم وما كان لآخِرهم فهُو لأوّلهم.. خُصوصاً فيما يرتبط بالشأن الذاتي، لا في الأمور العارضة، فإنّ في الأمور العارضة ربّما تكون مِن

الأمور لأوّلهم فلا تكونُ لآخرهم.. مِثلما في تسميةِ أمير المؤمنين بـ(أمير المؤمنين) هذهِ أمورٌ عارضة وليستْ ذاتيّة.. أمّا مِن الجهة الذاتيّة فكُلّهم "صلواتُ الله عليهم" أُمراء المؤمنين.

فحين نُخاطبها: (**السلامُ عليكِ أيّتُها الصدّيقة المرضيّة**) الصدّيقة يتجلّى مَعناها بشكلٍ فعلي وعملي في هذه العبارة: (**السلامُ على رُوحكِ وبدنك الطاهر**) وسأعود إلى هذه العبارة.. ولكنّني أريدُ الوقوف عند هذهِ الجملة التي تسبقُها بعدّة فقرات وهي هذه العبارة:

(**السلامُ عليكِ أيّتُها المَنعوتةُ في الإنجيل، المَخطوبةُ مِن رُوح الله الأمين**)

أمّا خُطبتها مِن رُوح الله الأمين، فقد مَرّ علينا الكلام حين قرأتُ عليكم (وثيقة السيّدة نرجس) وهي تتحدّث عن تفاصيل حياتها وقد أخبرتْ بِشْر النخّاس - وهو إخبارٌ لنا - كيف تمّتْ خُطبتُها في عالم الرؤيا.. والقضيّة قد تكون أبعد مِن عالم الرُؤيا، ولكنّها كيف تُخبِرُ بشراً..!

قضيّةٌ بهذه الضخامة وبهذا الحجم تتجاوزُ مُستوى الرُؤيا إلى آفاقٍ أعمق وأوسع وأدق.. ولكنّنا لا نُريد أن نذهب بعيداً، وإنّما نقِفُ عند حدود الألفاظ التي وردتْ في الوثيقة. فالوثيقة تحدّثتْ عن خُطبة نبيّنا "صلّى الله عليه وآله" السيّدة نرجس لولدهِ الإمام الحسن العسكري، حِين خطبها من المسيح ومِن جدّها وصيّ المسيح شمعون الصفا.

● (**السلامُ عليكِ أيّتُها المَنعوتةُ في الإنجيل، المَخطوبةُ مِن رُوح الله الأمين**)

منطقيٌ جدّاً أن تُذكَر السيّدة نرجس في الإنجيل للترابط الوثيق فيما بين السيّد المسيح والمشروع المهدوي.. وللترابط الوثيق فيما بين ولادة إمام زماننا وبين الحواريّين.. فأُمّه مِن بناتِ الحواريّين مِن بناتِ وصيّ عيسى المسيح مِن بناتِ شمعون الصفا.

إذ أنّ الأميرةَ الروميّة مليكا الحائزة على أشرف الشرف أُمُّها حفيدة لشمعون الصفا.. مثلما بيّنت هي "صلواتُ الله عليها" في الوثيقة الأولى التي أسميتُها "وثيقة السيّدة نرجس".

• الإنجيلُ الأصل ليس بأيدينا.. ولكن إمام زماننا - بحسب مُعتقداتنا نحنُ - سيُخرِج الإنجيل الأصل، وحينها سيكون المَسيح في خِدمة إمام زماننا.

ولرُبّما السيّدة نرجس تعود إلى الحياة في أوّل الراجعين كما عادتْ راحيل أمّ يوسف.. وأقول (ربّما) لأنّني لا أملكُ نصّاً صريحاً واضحاً بالتعيين وبالتخصيص.

وإنْ وردَ في كُتب التفاسير الشيعيّة وحتّى في غير كُتب التفاسير الشيعيّة.. ورد حديثٌ عن أنّ راحيل أُمّ يوسف قد بُعثتْ إلى الحياة مرّةً أخرى لمّا جاء يعقوب إلى مِصر إلى يوسف، وذلك لأجل أن يتحقّق معنى السجود في رؤيا يوسف، حين رأى يوسف أنّ الشمس والقمر مع النجوم يسجدون له.

وتأويل الرُؤيا في الشمس: كان أباه وفي القمر: كانت أُمّه.. وأُمّه لم تكنْ على قيد الحياة في ذلك الوقت.. ولذلك وردَ في كُتب التفسير أنّ راحيل ستعود إلى الحياة وستأتي مع يعقوب النبيّ كي يتحقّق تأويل منام ولدهم يوسف النبيّ.

وهُناك أوجه شبه فيما بين أمّ إمام زماننا وأمّ يوسف.. هُناك أوجه شبه فيما بين شُؤونات غَيبة إمام زماننا وشُؤونات يوسف وسائر الأنبياء.. وليس الحديثُ في هذه الحلقة عن هذا الموضوع. فلربّما وفقاً لهذا المعنى - إذا صحّ وثبُتَ - فإنّ السيّدة نرجس ستعود إلى الدُنيا مثلما عادت راحيل بحسب هذ القول.

وإذا أردنا أن نُطبّق قوانين الرجعة، فمِن البديهي أنّ السيّدة نرجس ستكونُ في أوّل الراجعين، فإنّ مِن قوانين الرجعة أنّ الراجعون هم مَن محضوا الإيمان ومَن محضوا الكُفر.

كما قلت منطقيٌ أنّ السيّدة نرجس تُذكَر في الإنجيل، وقَطعاً الزيارة تتحدّث عن الإنجيل الأصل.. ولكن مع ذلك، رغم أنّنا لا نعتقدُ أنّ الإنجيل الموجود في أيدي المسيحيّين هو هذا الإنجيل الأصل، ورُغم ذلك فالإنجيلُ الذي بين أيديهم لا يخلو مِن حقائق.

● وقفة عند سِفْر الرُؤيا (رؤيا يوحنّا) من كتاب العهد الجديد (وهو الإنجيل، والمُراد من الإنجيل: البشارة) في الإصحاح الثاني عشر من سِفْر الرؤيا:

(**وظهرتْ آيةٌ عظيمةٌ في السماء: امرأةٌ مُتسربلةٌ بالشمس** - أي التحفتْ بالشمس - **والقمرُ تحت رجليها، وعلى رأسها إكليلٌ مِن اثني عشر كوكباً* وهي حُبْلى تصْرخُ مُتمخّضةً ومُتوجّعةً لِتلِد* وظَهرتْ آيةٌ أُخرى في السماء: هو ذا تنينٌ عظيمٌ أحمر، لَهُ سبعةُ رُؤوس وعَشْرةُ قُرون، وعَلى رُؤوسهِ سبعةُ تيجان* وذَنَبهُ يجرُّ ثُلثَ نجوم السماء فطَرَحها إلى الأرض. والتنّينُ وقف أمامَ المرأة العتيدة** - أي المرأة الأصيلة الحاضرة بقوّة - **أن تلد، حتّى يبتلعَ ولدها متى ولدت* فولدتْ ابناً ذكراً عتيداً أن يَرعى جميعَ الأُمم بعَصاً مِن حديد. واختُطِف ولدُها إلى الله وإلى عرشه، والمرأةُ هربتْ إلى البريّة، حيثُ لها مَوضعٌ مُعدٌّ مِن الله لكي يعولوها هُناك ألفا ومِئتين وستّين يوماً..**)

● وقفة عند ما جاء في تفسير جون ماك آرثر (وهو مِن التفاسير المعروفة للتوراة والإنجيل "لكتاب العهد القديم، والعهد الجديد")

في تفسير هذه الفقرة من رؤيا يُوحنّا:

(**إنْ كونها مُتسربلةً بالشمس يرمزُ إلى مَجد الأُمّة وكرامتها وحالة رفعتها وإلى شعب الوعد الذين سيَخلُصونَ ويُعطَون مَلكوتا، ويُحتمل أنْ تكون صورة القمر تحت قدميها رمزاً إلى علاقة الله بالأُمّة بمُوجب العَهد، إذْ أنَّ الأهلّة كانتْ مُرتبطةً بالعِبادة، والاثنا عشر كوكباً تُمثّلُ أسباط الأُمّةِ الاثني عشر..**)

ولابُدّ أن أُشير هُنا إلى أنّ هذا السِفْر (سِفْر الرُؤيا) هو سِفْرٌ مَرموز، فيهِ الكثير مِن الرموز، وهم حينما يُفسّرونه فإنّهم يُفسّرونه بطريقة شرح إشارات الرموز.. ولذلك فإنّه جون ماك آرثر في صفحة 2310 من هذ التفسير يقول في معنى المرأة المُتسربلة بالشمس: (**ليست هذه امرأةً فعليّة، بل هي صُورةٌ تمثيليّة لأُمّة بني إسرائيل التي تُصوّرُ مَجازيّاً في العهد القديم كأنّها زوجة الله** - يعني تُصوَّر هكذا في كُتاب اليهود الديني بكلّ أسفاره -)

هُناك حديثٌ في كُتب اليهود عن زوجة الله، وهُم يُفسّرون ذلك تَفسيراً مَجازيّاً مِن أنّ المُراد مِن "زوجة الله" هي أُمّة بني إسرائيل.. والكلام هو هو يسوقهُ جون ماك آرثر هنا كي يُفسّر ما جاء مِن هذه الصورة المرموزة في سِفْر الرؤيا.

• قول جون ماك آرثر (**وإلى شعب الوعد الذين سيخلصُونَ ويُعطَون مَلكوتا**) المُراد مِن "شعب الوعد" أي المسيحيّون الذين سيُدركون الألفيّة السعيدة، فإنّ المسيحيّين بانتظار نُزول المسيح وحينما ينزلُ المسيح - بحسب عقيدتهم - سيقضي على الشرّ، وسيعيشون على الأرض ما يصطلحون عليه في ديانتهم بالألفية السعيدة، وبعد ذلك فإنّهم يرتفعون مع المسيح إلى عالم الملكوت.. هكذا هي عقيدتهم وهكذا تنتهي الحياة البشريّة التي نحياها على الأرض بهذه الصورة.. هذا هو مُعتقدُهم الديني.

• والمُراد مِن (**أسباط الأُمَّةِ الاثني عشر**): حينما قسّم مُوسى اليهود إلى هذه الأسباط، وهذا الرقم في الديانة اليهوديّة والديانة المسيحيّة من الأرقام المُقدّسة. فإنّ جزءاً مِن ثقافة ديانة اليهود وديانة النصارى ما يُسمّى بـ(الأرقام المُقدّسة) وأحدُ هذهِ الأرقام المقدّسة هو هذا الرقم (12) وقد تردّد كثيراً في كتاب العهد القديم وفي كتاب العهد الجديد (يعني في أسفار اليهود وفي أسفار النصارى) وليس الحديث عن هذا المطلب.. إنّما جئتُ به مثالاً.

• حين تقول الزيارة: (**السلامُ عليكِ أيّتُها المَنعوتةُ في الإنجيل**) إنّما نُعتتْ في الإنجيل لأنّها تُشكّل جزءاً رئيساً وبوّابةً مُهمّةً في تشكيل المشروع المهدويّ الأعظم، وعيسى بحسب عقيدتنا عنصرٌ مِن العناصر المُهمّة في تفعيل هذا المشروع وبَسْط نظامهِ على التراب الأرضي حينما يظهر إمام زماننا "صلواتُ الله وسلامه عليه".

● وقفة عند تفسيرٍ آخر وحاشية أخرى كُتبتْ على الإنجيل وهي تفسير (جمعيّات الكتاب المقدّس في المشرق).
تحت عنوان: رُؤيا المَرأة والتنّين.. كتبوا في الحاشية على هذهِ الرؤيا:
(**تدلُّ على مريم العذراء أيضاً بحسب ما اعتقدهُ كثيرٌ مِن آباء الكنيسة والتقليد الطقسي والأيقوني يتردد كثيرٌ من المفسرين المعاصرين في اقتراح مثل هذهِ المُطابقة ولو بشكلٍ ثانوي، غير أنّ بعضهم الآخر يقول بأنّ الكاتب قصد مريم العذراء بِصفتها صورة الكنيسة**)
• المُراد مِن قولهم (**يتردد كثيرٌ من المفسرين المعاصرين في اقتراح مثل هذهِ المُطابقة**) أنّ البعض منهم فسّر هذه الصورة "صورة المرأة المُتسربلةِ بالشمس والقمرُ عند رجليها" قاموا بعملية مُطابقةٍ بين هذه التفاصيل وبين حالة السيّدة مريم والدة عيسى المسيح، فقالوا أنّ المُراد مِن هذه المرأة المُتسربلة بالشمس هي السيّدة مريم. هم يرون تعبيراً رمزيّاً.. لذلك حاروا في معنى هذه الصورة.
علماً أنّ الكثير من المفسّرين تبعوا هذا التفسير مِن أنّ المُراد مِن هذه المرأة المُتسربلة بالشمس والتي على رأسها إكليلٌ من إثني عَشَر كوكباً.. هذه المرأة هي الأُمّةُ الإسرائيليّة بأسباطها الإثني عشر.. وذهب بعضٌ من المُفسّرين إلى أنّها السيّدة مريم، ولكنّ المُتأخّرين منهم يتردّدون في هذا الأمر..!
لا يُوجد تطابق تأريخي ولا تُوجد مُماثلة فيما بين السيّدة مريم وبين هذه المرأة المُتسربلة بالشمس والتي على رأسها إثني عشر كوكباً.. ولذلك فرّوا إلى قولٍ ثالث وقالوا أنّ المُراد مِن المرأة هُي السيّدة مريم ولكن أُخذتْ بعُنوان رمْزٍ للكنيسة، والمُراد مِن الكنيسة (المنظومة العقائديّة)

✸ **توضيح:** مُصطلح الكنيسة في الثقافة المسيحية يُطلق على ثلاثة معاني:
• **المعنى (1):** هي البناية (محلّ العبادة)
• **المعنى (2):** الكنيسة يعني: المذهب، فالمسيحيّون على مَذاهب وعلى طُرُق.
• **المعنى (3):** الكنيسة يعني المنظومة العقائديّة.. مثلما نصطلحُ نحنُ في ثقافتنا الشيعيّة بحسب ما جاءنا عنهم "صلواتُ الله عليهم" أنّ العلاقة فيما بين العبد وربّه عِبْر مُحمّدٍ وآل مُحمّد يُعبّر عنها بِمُصطَلح (الولاية).. فالولايةُ هي المنظومة العقائديّة الدينيّة التي تربطنا نحن العبيد بالله سبحانه وتعالى عِبْر مُحمّدٍ وآل مُحمّد. فالكنيسةُ أيضاً في مُصطلح النصارى هي منظومتهم العقائديّة التي تربطهم بالله وبالمسيح عِبْر تفاصيل وشؤونات هذه المنظومة.
● وقفة عند ما جاء في ثقافتنا نحن وفي أحاديثنا مِن إشارات قد تُشير لهذهِ المرأة المُتسربلة بالشمس.
• مقطع مِن حديثٍ لرسول الله في كتاب [كشف الغمّة في معرفة الأئمة: ج2] لعليّ بن عيسى الأربلّي. قال رسول الله "صلّى الله عليه وآله":
(**لمَّا خلقَ اللهُ آدم وحوّاء تبخترا في الجنّة، فقال آدم لحواء: ما خلقَ اللهُ خلْقاً هو أحسنُ منّا، فأوحى اللهُ إلى جبرئيل إئتِ بعَبديَّ الفِردوس الأعلى فلمَّا دخلا الفِردوس نظرا إلى جاريةٍ على درنوك** - أي موضعٌ خاصٌّ للجلوس عليه - **مِن درانيك الجنَّة، وعلى رأسها تاجٌ مِن نُور وفي أُذُنَيها قُرطان مِن نُور، قد أشرقتْ الجنان مِن نُور وجهها، فقال آدم: حبيبي جبرئيل، مَن هذهِ الجارية التي قد أشرقتْ الجنانُ مِن حُسْن وجهها؟ فقال: هذهِ فاطمةُ بنتُ محمّد نبيٌّ مِن ولدك يكونُ في آخر الزمان. قال: فما هذا التاجُ الذي على رأسها؟ قال بعلُها عليٌّ بن أبي طالب. قال فما القُرطان اللّذان في أُذُنيها؟ قال: ولداها الحسنُ والحسين. قال آدم: حبيبي جبرئيل أخلقوا قبلي؟ قال: هُم مَوجودون في غامضِ عِلْم الله قبل أن تُخلَق بأربعة آلاف سنة..**)
هذه روايةٌ مِن الروايات وهي أيضاً بلسان الرمز.
ألا تتلمّسون شيئاً مِن مضمون هذهِ الرواية والتي هي أيضاً لم تُنقل إلينا بشكلٍ دقيق، خُصوصاً وأنّ هذه الرواية نَقَلها صاحب كتاب [كشف الغُمّة] عن الأئمة عن رسول الله ولكن مِن كُتب المُخالفين وليست من كُتبنا.
مثل هذا المضمون ورد عندنا في رواياتٍ ولكن بنحوٍ مُنتشر في مجموعةٍ من الروايات وليس في روايةٍ واحدة.. وأنا جئتُ بهذه الرواية نموذجاً فقط.
● سِفْرُ الرؤيا يقول: (**وظهرتْ آيةٌ عظيمةٌ في السماء: امرأةٌ مُتسربلةٌ بالشمس والقمرُ تحت رجليها**،) ألا يُمكن أن يُراد مِن هذه المرأة المُتسربلة بالشمس السيّدة نرجس؟ يُمكن ذلك.
نحنُ لا نملك دليلاً قطعيّاً على صحّة هذا النصّ في كتاب النصارى، وإنْ كانوا هُم يعتقدون بِصحّة هذا الكتاب.. وربّما كان هذا النصّ بصيغة أخرى، وربّما يُراد من هذا النصّ الصديقة الكبرى فاطمة.. والمعاني فيها تشابه في بعض الجهات مع هذه الرواية التي قرأتها عليكم ومع تأريخ الصدّيقة الكُبرى في

بعض الجهات. ويُمكن أن يُراد مِن هذا النصّ السيّدة نرجس، فهي مُتسربلةٌ بالشمس، والشمسُ عنوانٌ للإمام الحسن العسكري.. وتعبير (**القمرُ تحت رجليها**) إشارةٌ إلى ولادتها للقمر.. قد يكون هذا التعبير هو الذي وصل إلينا بعد الترجمة.

● وقفة عند هذا المقطع مِن وثيقة السيّدة حكيمة وهي تتحدّث عن تفاصيل ما جرى في بيت الإمام العسكري بعد ولادة إمام زماننا.. تقول: (**فرددتُهُ إلى أبي مُحمّد "عليه السلام" والطيرُ تُرفرفُ على رأسه** - وهي الملائكة التي تصوّرتْ بهذه الصُور - **فصاحَ بطيرٍ منها فقال لهُ: احملهُ واحفظهُ ورُدّهُ إلينا في كلّ أربعين يَوماً، فتناولهُ الطيرُ وطارَ به في جوِّ السماء وأتبَعَهُ سائرُ الطير..**) إلى أن تقول السيّدة حكيمة: (**فقلت: وما هذا الطير؟ قال: هذا رُوح القدس المُوكّل بالأئمّة..**)

• جاء في الإصحاح الثاني عشر من سِفْر الرؤيا: (**فولدتْ ابناً ذكراً عتيداً أن يَرعى جميعَ الأُمم بعَصاً مِن حديد. واختُطِف ولدُها إلى الله وإلى عرشه..**) لربّما أفضلُ تعبيرٍ رمزيّ عن سيف ذي الفقار هو هذا التعبير (بعصا مِن حديد).

أمّا هذا التعبير (**واختُطِف ولدُها إلى الله وإلى عرشه**) فهذا الأمر لم يجرِ مع عيسى حتّى في الثقافة المسيحيّة.. فعيسى لم يُختطف بعد الولادة مُباشرة.

● عندنا مِفكّان ومفصلان مُهمّان مِن هذه الزيارة أترُكهما لحلقة يوم غد وهما هذان المِفصلان:

• **المِفصل الأوّل**: (**السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر**)

• **المِفصل الثاني**: (**مُؤْثرةً هواهم**)

● وتستمرّ الزيارة الشريفة إلى أن تقول: (**وبكَ اعْتصمتُ، وبقَبر أُمّ وليكَ لُذتُ**) والاعتصامُ باللهِ إنّما يكونُ بالاعتصام بهم كما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة (**ومَن اعتصمَ بكم فقد اعتصم بالله**).

هذه العبارة تُجمِل كُلّ المعاني المُتقدّمة.. أيُّ قبرٍ هذا الذي نلوذُ به بعد الاعتصام بالله؟! أيُّ شأنٍ لِصاحبة هذا القبر كي ألوذ بقبرها بعد أن كُنتُ قد اعتصمتُ بالله؟! هذه الجملة القصيرة تشتملُ على كُلّ المعاني السابقة.

لو لم تكن صاحبةُ القَبر جُزءاً مِن المنظومة المُقدّسة التي تَحدّثتْ عَنها الزيارةُ في البداية لَما لُذتُ بقبرها.. لو لم تكنْ خُزانةً أودع فيها الباري أسراره لَما لُذتُ بها. كُلّ تلك الأوصاف التي وردتْ في الزيارة كانتْ سَبَباً لأن نلوذ بقبرها.